ولا ريب ان بعد نظر برلين صان المانيا اذ لم يكد يدور في خلد احد انه في ايدي اهلها من نقود الذهب خارج احتياطيها الكثير ما يساوي اربعة اضعاف ما في ايدي اهل الجزر الانكليزية اما من جهة احتياطيها فانها كانت تشتري الذهب غير مبالية بقيمة الكبير كما كانت تشتري المواد المفرقعة لقنابلها

وقد قدر المضرب الاميركي ان في ايدي انكلترا ومستعمراتها (ما عدا الهند) ٧ مليونًا من الذهب او اكثر . والمرجح ان اوراق النقود الجديدة التي اصدرتها الحكومة الانكليزية خفضت ٢٠ مليونًا من ذلك المبلغ ذهبت الى احتياطي البنوك . وكان الذهب المتداول في فرنسا قبل الحرب ١١٦ مليونًا فما يرجح والمتداول في روسيا ٧١ مليونًا . فلو امكن جمع كل مارك وروبل وفرنك من الذهب وكل جنيه واضافتها الى احتياطي الدول الاربع ما اجتمع اكثر من ٤٠ مليون لضمان زيادة الاوراق التي ربما بلغت ١٣٠٠ مليون

وقد ختم مقالتهُ بقوله انهُ لا يرى مخلصًا من هذه الحالة الاَّ بزيادة نقود الفضة

الرحلات الافريقية القديمة

٤

الرحلات الحديثة

قصد كثيرون من السياح الاوربيين اكتشاف مجاهل افريقية منذ القرن السابع عشر بعد ان عرفت واكتشفت شواطئها كلها . والمعروف منها رحلات كافاسي وبروا وكولسي . وفي القرن الثامن عشر قام السياح كيانيون وستيوارت وسكاو ولوكوك وبرون ونوربس وبوزمان وباروى ومنجوزا لامرد برحلات عديدة ولكن تقاريرهم التي وضعوها في اسفارهم قلما يركن اليها واكثرهم لم يتجاوز الشواطئ الغربية والشرقية الاَّ في بعض شذات من الاميال

وفي بدء القرن التاسع عشر قام ادمس الرحالة سنة ١٨١٠ برحلة وصل بها الى تمبكتو وقام بعدهُ الرحالة مونغو بارك وصل بها الى نهر النيجر وهناك قتل بايدي المتوحشين

وكانت بعد ذلك رحلات السياح كلابرتون ولاي . ورتشرد لندر الانكليزي وكالبي الايطالي وكلهم لم يتوغلوا كثيرًا في المجاهل الافريقية فلم تأت رحلاتهم بفائدة تذكر . وقام بعدهم الرحالتان الشهيران برث وفوجل برحلات في الاقطار السودانية الغربية وتجاوزا نهر النيجر وكتبا عن اهالي تلك البلاد وعوائدهم . وفي سنة ١٨٠٦ رحل بعض السياح

البرتوغاليين من موزمبيق الى داخل افريقية وقد اخذوا يبعد مشقات ومصاعب عديدة الى مصب نهر زمبيسي العظيم ثم كانت بعد ذلك رحلة الرسل الانكليزي كريف ورفيقيه ارهرت وربمان فاكتشفوا بلاداً كثيرة في الداخلية كانت قبلاً مجهولة ووصلوا الى جبال [redacted] فينيا وكلمجارو المكللة رؤوسها بالثلوج صيفاً وشتاء . واتجروا مع العرب وحصلوا على قوة طائلة وهم اول من قالوا بوجود بحيرات كبيرة في اواسط افريقية وذكروا بعض معلومات عنها افادت السياح من بعدهم للوصول الى تلك البحيرات

وفي سنة ١٨٤٤ رحل شاب فرنسوي يدعى ميزان وكان من ضباط البحرية الفرنسوية فخطر لهُ تبعاً لتقارير السائح كريف ان يتوغل في داخلية افريقية ويكتشف بنفسهِ بحيراتها الكبرى ويصف كل ما يتعلق بها فصوبت الحكومة الفرنسوية رأيهُ وامدتهُ بالمال فذهب اولاً الى جزيرة بوربون ثم الى زنجبار وكان فيها وقتئذٍ المسيو بروشان قنصلاً لهذه الدولة لدى الحكومة الزنجبارية فساعدهُ في مهمتهِ واراد ان يمدهُ ببعض الجرس الا ان ميزان رفض ان يأخذ معهُ احداً ولم يستصحب معهُ سوى رجل واحد من السواحليين من التجار العارفين لطرق تلك البلاد السحيقة وتابع امعهُ فريدريك ولما وصل ميزان الى يغامويو لحقهُ اربعون رجلاً من الزنجبار بين كان ارسلهم قنصل فرنسا وراءهُ ليقوموا بحراسته غير ان ميزان امرهم ان يرجعوا من حيث أتوا ولبث في يغامويو مدة شهرين يتعلم فيها اللغة السواحلية حتى اذا اتقنها خرج في رحلتهِ الى داخليم البلاد مع تابعهِ فريدريك

وفي شتاء سنة ١٨٥٤ وصل الى مقاطعة واكيو وزار فازي مازنجري زعيم قبائل (المساي) ورحب بهِ غير انهُ لما رأى ما عندهُ من الآلات الفلكية والادوات المتنوعة والنظارات العلمية وقد بهرت انظارهُ يلمعانها غدر بهِ طمعاً بالحصول عليها فقبض عليهِ واذاقهُ من العذاب الوانا وامر بتقطيع جسمهِ عضواً عضواً . واما تابعهُ فتمكن من الفرار بعد ان احتمى بزوجة هذا الزعيم الوحشي ورجع الى زنجبار واخبر قنصل فرنسا بما جرى لميزان فارسلت حكومة زنجبار قوة عظيمة للاقتصاص من تلك القبائل وزعيمها تبعاً للاوامر المشددة الصادرة من فرنسا

وجاء بعدهُ برتون وسبيك الرحالتان الانكليزيان الشهيران ذهبا الى الهند سنة ١٨٥٦ وعزما على السياحة في داخلية افريقية لاكتشاف مجاهلها وبحيراتها فوصلا الى جزيرة بمبا ومنها الى زنجبار فاستقبلها السر هاملتون قنصل انكلترا ورحب بهما ونشطها على

السياحة وكانت وطأة التعدي على الاجانب قد خفت في تلك الاصقاع بفضل سلاطين زنجبار ونفوذهم

وفي سنة ١٨٥٧ ركبا سفينة سواحلية ووصلا الى ممبسة وتجمع الاهالي على الشاطئ ليروا السائحين الغريبين وكان الاولاد يتراكضون حولهما ويصيحون بلغتهم «مزنجو مزنجو» اي الافرنج البيض وزارا بالقرب من هذه المدينة المرسل الانكليزي ريمان وكان مقيماً هناك من مدة طويلة وقد تعلم لغة تلك البلاد . ثم ذهبا الى تنغا وركبا سفينة في نهر بنجاني الى الداخلية . ولا بأس بتلخيص هذه الرحلة لما فيها من الغرائب والفوائد الجغرافية

استصحب هذان السائحان معهما بعض الحرس والحامية من السواحليين والعرب وكان سيرهم في نهر بنجاني بطيئاً متعباً وقد التقوا بقطعان من عجول البحر وغيرها من الحيتان ورأوا نوعاً من التماسيح هائل الجثة وهي كثيرة هناك تسرح على الشاطئ من الجانبين ومروا في طريقهم بغابات تكثر فيها القرود على اختلاف اجناسها ووجدوا اشجاراً كثيرة من الاشجار الغريبة الضخمة ومن النباتات النادرة منها نوع يشبه النخل لهُ سعف ضخمة كفخذ الانسان وطول الورقة منها عشرون ذراعاً وهي محددة الرأس كالرمح

ووصلوا في الليلة الاولى الى قرية ذات ادغال كثيفة فاستقبلهم الاهالي بترحاب وامدوهم بالمؤونة والفاكهة وما زالوا يتوغلون في مجاهل تلك البلاد حتى وصلوا الى مدينة فوجه القريبة من جبال قينيا الشاهقة التي تعلو تسعة آلاف قدم من سطح البحر

ثم رجع الرحالتان ومن معهما الى زنجبار واستعدا في تلك السنة لرحلة اخرى اعظم من الاولى واخذا معهما الرجال والدواب والاحمال والزاد ولكن قبل ان يصلا الى اوغندا اعترت سبيلك الحمى الخبيثة الافريقية واصيب رفيقه برتون باعراضها . ولما شفيا واصلا السير الى الداخلية ووصلا في شهر يوليو الى مقاطعة وازرمي وزنجوميرو وهناك قبائل المساي الشهيرة بالغزو والسطو . وقد تجشمت هذه الحملة كثيراً من المشاق والمخاطر الى ان وصلت الى فازه وهي محط رحال القوافل من تجار العرب والخاسة الى اواسط افريقيا وبحيراتها . وقد تحمل رجال هذه الحملة من لذع النمل الاحمر والاسود ما جعلهم يتوقفون عن السير الى الامام وهذا النمل يسير في تلك النياق كالجيش المرصوص وهو كبير الجثة طول النملة منهُ بوصتان او ثلاث ولها منسران صلبان حادان كنصل الرمح واحياناً يلتقي هذا الجيش بجيش آخر من النمل الابيض فيتقاتلان اشد القتال في معارك كبيرة الى ان يتغلب احدهما على الآخر ويفتك بهِ ولذع النمل الاحمر اشد ضرراً لانهُ سام

وقد التقت هذه الحملة في طريقها باسراب كثيرة من الفيلة والزرافي . والاهالي هناك يصطادونها ويجعلون من جلودها تروساً وهي متى جففت على طريقة يعرفونها تصبح صلبة متينة كالحديد لا يخرقها الرمح الحاد

ثم وصلت الحملة الى بلاد اونيامويزي وهي كثيرة الخصب جيدة المرعى وبها واصلت سيرها الى بحيرة تنغنيكا ووصلت بعد سفر شاق اليها فطاف سبيك وبرتون حولها في قارب من جذع احدى الاشجار الضخمة ولاقت الحملة اهوالاً واخطاراً عظيمة من الاهالي والوحوش يعسر وصفها ثم وصلا الى اوبواري واهلها يأكلون الجرذان والحشرات ولحوم البشر نيئة وهم في اسفل درجات الانحطاط والمدنية لا فرق بينهم وبين الحيوانات في عيشتهم وعوائدهم . ثم استأنفا المسير الى عوبرة على الشاطئ الغربي من هذه البحيرة ودخلا في بلاد اوجيجي . وبعد اربعة اشهر رجع برتون الى فازه مع بعض رجال الحملة فاصداً زنجبار لان الحمى انهكت قواه ولم يستطع مواصلة السير واما رفيقه سبيك فاخذ باقي الحملة ومواصل سفره وقد عزم ان لا يرجع بالخيبة والفشل الا بعد ان يكتشف بحيرة فيكتوريا نيانزا . وبعد شهر وصل اليها وهو اول من وصفها وصفاً جغرافياً علمياً وبعد ان طاف حولها ذكر جزائرها ووصف اهلها وحيواناتها وزراعتها وحاصلاتها وقال ان اهلها على جانب من الحضارة وكلهم سالمون وعندهم قطعان البقر والغنم والماعز ويزرعون الفول والارز وهو اول من قال بان منابع النيل من تلك البحيرة العظيمة

وفي اوائل سنة ١٨٥٩ رجع سبيك الى فازه ووجد رفيقه برتون قد تعافى من مرضه فاخبره انه اكتشف منابع النيل ثم طافا في تلك البلاد ووصلا الى اوغندا والتقيا بملكها ووصفا اهلها وحكومتها وكان لذلك جيش لا يقل عدده عن مئة الف رجل . ومن هناك رجعا مع الحملة الى زنجبار ومنها الى اوربا وهذه هي الرحلة الاولى المهمة الى اعالي النيل . واقبل بعد سبيك وبرتون كثيرون من السياح لارتياد تلك البلاد العجيبة اشهرهم السائح العظيم لفنستون رستانلي الرحالة الشهير . ولا يسعنا المقام وصف رحلاتها وما اكتشفا من البلاد والجبال والبحيرات والانهر وانما نكتفي بالاشارة الى رحلة ستانلي وهو اول من اخترق قارة افريقية مرتين من الشرق والغرب اي من زنجبار الى الكونغو وبالعكس وعادت اكتشافات هذا الرحالة بفوائد جمة على علم الجغرافية وكشفت النقاب عن مجاهل افريقية الوسطى

رحل ستانلي من باريس ووصل في فبراير سنة ١٨٧١ الى زنجبار وامدهُ المرحوم برنش

سلطان زنجبار بحملة كبيرة من الرجال السواحليين وفي ٢١ مارس وصل الى بحيرة تنغنيكا. وفي شهر نوفمبر رحل مع الحملة بعد ان لاقى المصاعب والاهوال الى بلاد اوجيجي حيث التقى بالرحالة لفنستون وكان التفتيش عنهُ هو المهمة التي انتدب لها كما هو معروف واقام ستانلي عند لفنستون شهرين واتحدا معاً على اكتشاف حدود البحيرة الشمالية . وفي شهر مارس سنة ١٨٧٢ فارق ستانلي لفنستون لانهُ لم يشأ ان يرجع معهُ الى اوربا

وطاف ستانلي في اواسط افريقية وحدهُ ورجع الى زنجبار ونقل خبر وجود لفنستون حيًّا بلسان البرق الى اوربا . وقام بعد سنة برحلة اخرى لاكتشاف ما بقي من اواسط افريقية المجهولة واختراقها من الشرق الى الغرب واستصحب معهُ من زنجبار حملة كبيرة وقارباً صغيراً مفككاً ورافقهُ بضعة اشخاص من اوربا فاجتاز في رحلتهِ هذه كل مقاطعات افريقية الشرقية واوغاندة ووصل سنة ١٨٧٥ الى منابع النيل وبحيرة البرت ثم واصل سيرهُ في اواسط افريقية حتى وصل الى الكونغو على المحيط الاتلنتيكي بعد ثلاث سنوات

ورحل ستانلي رحلة ثالثة سنة ١٨٨٤ اخترق فيها افريقية من الغرب الى الشرق اي من الكونغو الى زنجبار واكتشف في رحلتهِ هذه بلاداً كثيرة وجبالاً وبحيرات وانهراً كانت مجهولة مما هو معلوم فلا نطيل فيهِ

وفي سنة ١٨٨٧ قام برحلة رابعة منتدباً من الجمعيات الجغرافية الاوربية ومن المرحوم توفيق باشا الخديوي الاسبق للتفتيش عن امين باشا حكمدار مديرية لادو ولبطون بك حكمدار بحر الغزال وكازاتي السائح الايطالي و يونكر السائح الروسي وقد انقطعت اخبارهم بعد ثورة الدراويش واستيلاء المهدي على السودان . فقام ستانلي بمهمتهِ هذه المحفوفة بالمخاطر والمشقات واشترك بنفقات هذه الحملة الحكومة المصرية والجمعية الجغرافية الانكليزية فاكتشف كثيراً من البلاد المجهولة وطاف في جهات السودان كلها . وفي ١٦ يناير سنة ١٨٨٩ التقى ستانلي بامين باشا ومن معهُ من الجنود المصريين ورجع بهم عن طريق زنجبار . وفي سنة ١٨٩٠ وصل الى مصر وكان لهُ استقبال حافل وقد خدم هذا الرجل العظيم العالم اجمع وخلد لهُ اسماً مجيداً باكتشافاتهِ العلمية الثمينة ديتري تقولا

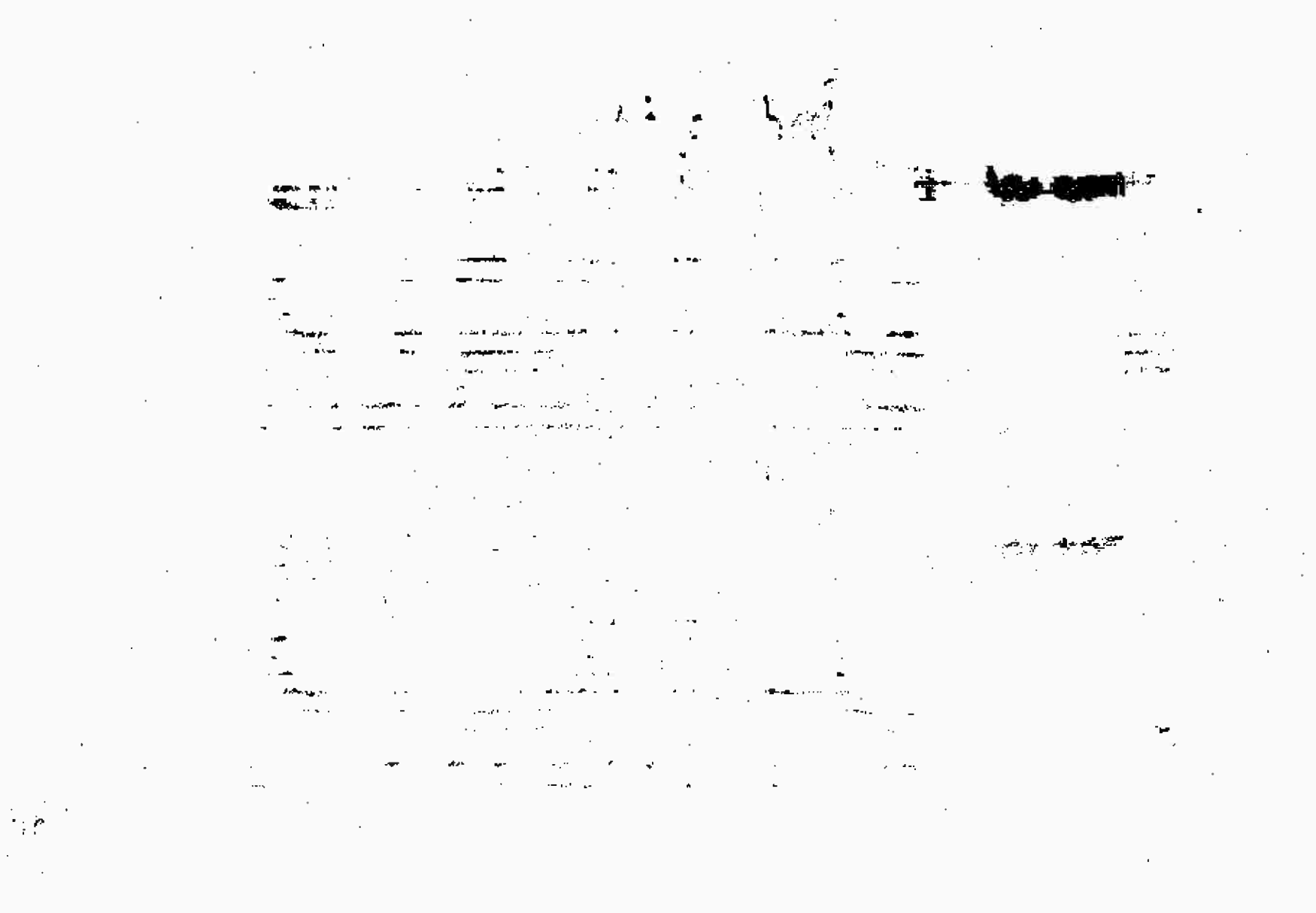

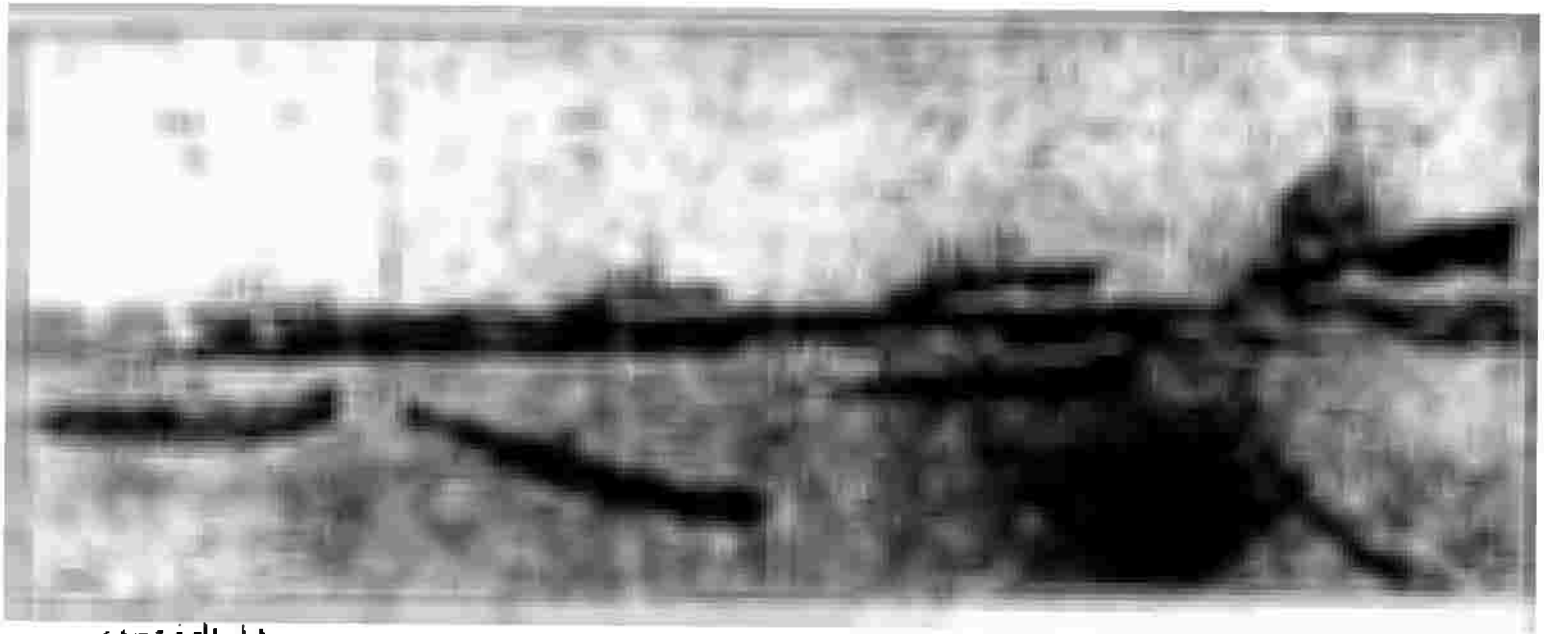

امام الصفحة ٤٨٣

مقتطف نوفمبر ١٩١٥